

قمة كوبنهاغن: أمل للمستقبل أم وثيقة انتحار؟

وائل حميدان

سمع الجميع بمشكلة تغير المناخ، ويعرف معظم الناس حجم هذه المشكلة، وأنها قد تؤدي الى دمار الحياة على كوكب الأرض. ولكن لا يعرف الكثير من الناس، أن الوقت المتاح المتبقي لتفادي هذه الكارثة العالمية قصير جدا، ويتطلب منا أن نغير جذريا طريقة حياتنا، وتركيب اقتصادنا في أقل من عشر سنين .

هذا هو القرار الصعب المطلوب اتخاذه من قبل قادة العالم في قمة كوبنهاغن حول تغير المناخ، نهاية هذا العام. هل يستطيع الرئيس أوباما أن يقول لشعبه، الذي يمر في مازق اقتصادي كبير، أنه على الدول المتقدمة كالولايات المتحدة، أن تضحي بأكثر من 200 بليون دولار سنويا، لتقدمها إلى البلدان النامية، لكي تخفض من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون، الناجمة عن حرق النفط والفحم، والمسببة لمشكلة تغير المناخ، وفي نفس الوقت، على الولايات المتحدة أن تخفض انبعاثاتها بأكثر من 40% مقارنة مع سنة 1990 بحلول سنة 2020؟ هل يستطيع رئيس الصين أن يوافق على ان تقوم الدول النامية بتغيير مسار نموها، لكي لا تصل الى نفس الموقع، الذي وصلت إليه الآن الدول المتطورة، وتوقف نمو انبعاثاتها قبل عشر سنين؟

تعتبر هذه الأرقام أقل من المطلوب لتفادي كارثة تغير المناخ. تقول أحدث الدراسات العالمية، التابعة للأمم المتحدة، بأننا أصبحنا في ظرف يتطلب تحرك شبيه بحالة الحرب. مما يعني، بأن علينا أن نوقف اقتصادنا حالا، وأن نبدأ إعادة تركيبه، بطريقة نتجنب معها انبعاثات ثاني أكسيد الكربون كليا في أسرع وقت ممكن، تماما كما فعلت الولايات المتحدة وأعدت تركيب اقتصادها، عندما قررت دخول الحرب العالمية الثانية في سنة 1942 .

يقول العديد من المحللين السياسيين بأن علينا القبول بالواقع السياسي والاقتصادي للكوكب، وبأننا لن نستطيع إقناع الدول المتطورة بالقيام بما هو مطلوب منها، ما قد يعني تخليها عن الصدارة الاقتصادية. وجوابنا على هذا الاعتقاد، هو أنه إذا سلمنا، بأن تغيير الواقع الاقتصادي والسياسي العالمي هو عملية صعبة جدا، إلا أنه علينا الإقرار، بأن تغيير الواقع العلمي هو عملية مستحيلة تماما. وبالتالي فإن التخلي عن الصدارة الاقتصادية هو بالتأكيد أفضل من التخلي عن الحياة على كوكب الأرض .

سؤال لقادة الدول
لذلك، على قادة الدول أن يجيبوا على السؤال الآتي: هل أنتم مستعدون للتخلي عن النمو الاقتصادي المعروف، وتبني نظام اقتصادي جديد، مختلف كليا، من أجل إنقاذ الكوكب؟ أم أنكم جاهزون للقبول بموت البلايين من البشر، في سبيل الإبقاء على النظام الاقتصادي الحالي؟ قد يكون الجواب واضحا للشخص العادي، وهو أن التقاط فرصة بقاء الحياة على الكوكب، هو بدون شك، أهم من تغيير موازين القوة العالمية. ولكني كواحد من الأشخاص المتابعين لجميع جلسات المفاوضات الجارية حول نص المعاهدة، التي سوف تقرر في كوبنهاغن، أشعر بالأسف الشديد لأن أقول بأن الوضع سيئ جدا .
لا تزال الهوة واسعة بين البلدان النامية والبلدان المتطورة، حيث تحاول البلدان المتطورة أن تدفع المسؤولية عنها، في حين تحاول البلدان النامية أن تتفادى القبول بأي نوع من المسؤولية. ففي الاجتماع الأخير في بانكوك، لم يتحقق أي تقدم مهم في عملية المفاوضات. ولم يتبق إلا أقل من عشرة أيام من المفاوضات الفعلية، في اجتماع برشلونة مطلع الشهر المقبل، من أجل تقليص النص، موضوع تفاوض الدول، من 150 صفحة الى

أقل من 50 صفحة، علما بأن هذا النص، لا يزال معتبرا غير رسمي. قد تبدو المهمة مستحيلة، ولكنها ممكنة، إذا وجدت الإرادة السياسية الكافية. وإذا انخرطت جميع دول العالم من دون استثناء بجدية، لتحقيق هذه الإرادة .
العرب في المفاوضات

وهنا نسأل، ما هو الدور الذي تلعبه الدول العربية في المفاوضات؟ وهل تقوم بما يترتب عليها من واجبات في هذه المفاوضات، من أجل حماية شعوبها من الزوال؟ الكل يعلم، بأن البلدان المتطورة هي المسؤولة الأولى عن التسبب بهذه المشكلة، فهل تقوم البلدان العربية بالضغط المطلوب، لدفع هذه الدول إلى تحمل هذه المسؤولية؟ على كل مواطن عربي أن يرفع هذه الأسئلة إلى حكومته. بالطبع، نحن نتابع كل المداخلات، التي تقوم بها البلدان العربية، ونشير إلى أننا نقوم بمهمتنا السهلة هذه دون عناء يذكر، وذلك لأن معظم الدول العربية لا تقوم بأي مداخلات خلال المفاوضات. فلبنان مثلا لم يقم، حتى ولو بمداخلة واحدة في عملية المفاوضات الحالية لنص معاهدة جديدة. والأسوأ من هذا الأمر، أن الدولة العربية الوحيدة، التي تلعب دورا فعالا في المفاوضات، كالمملكة العربية السعودية، ينحصر سعيها في حماية تجارة النفط، على حساب الحفاظ على الحياة على الكوكب .

منذ العام 2006، تصدر منظمة جيرمنواتش سنويا مؤشر الأداء العالمي للتغير المناخي، وكانت المملكة العربية السعودية دائما هي الأسوأ أداء، على أساس ثلاثة معايير، هي مستوى الانبعاثات، وزيادة الانبعاثات، وحكم الخبراء بشأن سياسة المناخ الدولي . بالطبع، إن هذا أمر غير مقبول. فعلى الرغم من أن البلدان العربية ليست المسببة لهذه المشكلة، إن منطقتنا العربية هي من أكثر المناطق تأثرا بها، حيث تقع معظم المدن العربية على الشاطئ، وأي ارتفاع في مستوى مياه البحر، جراء ذوبان الجليد في القطبين، يعني دمارا كبيرا في البنية التحتية، وهجرة الملايين من السكان. كما سيعاني مئات الملايين في العالم العربي من نقص في المياه والغذاء. ففي العراق، يستمر الجفاف للسنة الرابعة على التوالي، مما أدى إلى انخفاض نسبة زراعة الحبوب بأكثر من 40 في المئة. أما في سورية، فقد تم إخلاء 160 قرية، بسبب عدم توافر المياه، بينما في لبنان، فإن حدة حرائق الغابات في تزايد مستمر، وتنخفض كمية الثلوج سنة بعد سنة، وتتغير الفصول الأربعة، وتصاب الأشجار بأمراض جديدة... الخ. لذلك نرى، أن الدور الرئيس، الذي على البلدان العربية القيام به، هو التأكد من أن الاتفاقية الجديدة قوية كفاية لحماية شعوبها، ولا يمكن القبول بأن يقتصر الموقف العربي على حماية الثروة النفطية. فالعرب أكثر من بؤرة نפט .

المدير التنفيذي في منظمة إندي - أكت